الفصل السابع

إكرام أهل القرآن والنهي عن أذاهم[١]

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

الحديث الأول: وروينا عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط»**[٢].

«قوله: **(إن من إجلال الله)** أي: تعظيمه وتكريمه، **(إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن)** أي: وإكرام قارئه وحافظه ومفسره **(غير الغالي فيه)** أي: غير المجاوز عن الحد لفظا ومعنى كالموسوسين والشكاكين أو المرائين أو الخائن في لفظه بتحريفه كأكثر العوام، بل وكثير من العلماء أو في معناه بتأويله الباطل كسائر المبتدعة. **(ولا الجافي عنه)**، أي: وغير المتباعد عنه المعرض عن تلاوته، وأحكام قراءته، وإتقان معانيه، والعمل بما فيه. **(وإكرام ذي السلطان المقسط)** أي: الحاكم العادل»[٣].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضل حامل القرآن الكريم.

---

(١) «التبيان في آداب حامل القرآن» للإمام النووي ص[٤٦] وما بعدها، بتصرف.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٢/ ٤٨٤٣)، والبيهقي (٨/ ١٦٤٣٥) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢١٩٩].

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٤٩٧٢) بتصرف.

٢- الحض على حفظ القرآن الكريم وتعلمه والعمل به.

٣- النهي عن الغلو في القرآن والإعراض عنه.

٤- إكرام الرجل الكبير السن وكذلك الحاكم العادل وتوقيرهما.

الحديث الثاني: وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ثم يقول:أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد فقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة. فأمر بدفنهم بدمائهم ولم يغسلهم»**[(١)].

«**(كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد)** جمع قتيل، أي: شهداء غزوة أحد. **(في ثوب واحد)** أي: من الكفن للضرورة، ولا يلزم منه تلاقي بشرتهما إذ يمكن حيلولتهما بنحو إذخر، **(أيهم أكثر أخذًا للقرآن)**: حفظًا للقرآن. **(في اللحد)** أي: الشق في عرض القبر جانب القبلة، سمي لحدًا لأنه شق يعمل في ناحية القبر، مائلًا عن وسطه، قدر ما يوضع الميت في جهة القبلة، والإلحاد لغة الميل. **(أنا شهيد على هؤلاء)** كلمة على في مثله تحمل على معنى اللام، أي أنا شفيع لهؤلاء وأشهد لهم بأنهم بذلوا أرواحهم وتركوا حياتهم لله تعالى، وفيه تشريف لهم وتعظيم وإلا فالأمر معلوم عنده تعالى»[(٢)].

ويؤخذ من الحديث:

١- جواز تكفين الرجلين في ثوب واحد لأجل الضرورة.

٢- وفيه جمع الرجلين فصاعدًا في لحد لأجل الضرورة.

٣- وفيه أنه يقدم الأكثر أخذًا للقرآن على غيره لفضيلة القرآن، كنظيره في الإمامة في الحياة.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١/ ١٢٨٨)، وأبو داود (٢/ ٣١٣٨) ، والترمذي (٣/ ١٠٣٦)، والنسائي (٤/ ١٠٣٦) وابن ماجه (١/ ١٥١٤)،وابن حبان (٧/ ٣١٩٧)، والبيهقي (٤/ ٦٥٨٦).

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٥/ ٣٩٨).

٤- وفيه دليل على أنه لا يصلى على الشهيد المقتول في معركة الكفار.

الحديث الثالث: وروينا عن أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا، وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»[(١)]. مرّ شرحه.

الحديث الرابع: عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ سَالِمًا، كَانَ يَؤُمُّ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: يَعْنِي بِسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ»[(٢)].

الحديث الخامس: وروينا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن الله عَزَّوَجَلَّ قال: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ.....»[(٣)].

قال الشيخ ابن عثيمين: قوله تعالى: (من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب) والمعاداة هي المباعدة، وهي ضد الموالاة، والولي بيَّنه الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، هؤلاء هم أولياء الله، (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟) أي: حققوا الإيمان في قلوبهم بكل ما يجب الإيمان به، (وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ) أي: حققوا العمل الصالح بجوارحهم، فاتقوا جميع المحارم من ترك الوجبات، أو فعل المحرمات، فهم جمعوا بين صلاح الباطن بالإيمان، وصلاح الظاهر بالتقوى، هؤلاء هم أولياء الله.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٦٧٣).

(٢) «فضائل القرآن» للقاسم بن سلام ص[٩٢].

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥/ ٦١٣٧) وهو جزء من حديث طويل، والبيهقي (٣/ ٦١٨٨).

وليست ولاية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تأتي بالدعوى، كما يفعله بعض الدجالين الذين يموهون على العامة بأنهم أولياء لله، وهم أعداء والعياذ بالله، فتجد في بعض البلاد الإسلامية أناسًا يموهون للعامة؛ يقولون: نحن أولياء، ثم يفعل من العبادات الظاهرة ما يموه به على العامة وهو من أعداء الله، لكنه يتخذ من هذه الدعوة وسيلة إلى جمع المال، وإلى إكرام الناس له، وإلى تقربهم إليه وما أشبه ذلك. فالذي يعادي أولياء الله يقول الله عَزَّوَجَلَّ: (فقد آذنته بالحرب)، يعني أعلنت عليه الحرب. فالذي يعادي أولياء الله محارب لله عَزَّوَجَلَّ، نسأل الله العافية، ومن حارب الله فهو مهزوم مخذول لا تقوم له قائمة.

الحديث السادس: عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَيْكَ تَوْقِيرُهُمْ: ذُو السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ، وَذُو الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلُ الْقُرْآنِ»(١).

وأهل القرآن أولياء الله وأهله وخاصته كما مر في حديث سابق فمن آذاهم أو تعرض لهم بسوء فقد آذى الله ورسوله.

قال الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب، بلاه الله قبل موته بموت القلب»(٢).

«الثلبُ: من ثَلَبَ: لامه وعابه، وصرَّح بالعيب، وقال فيه وتنقصه، وقولهم: وما اشتهى الثلب إلا من أشبه الكلب، وفلان ذو مثالب: أي: صاحب عيوب، وما أنت إلا مِثْلَبٌ: أي عادتك الثلب»(٣).

---

(١) «فضائل القرآن» للقاسم بن سلام ص[٩٠].

(٢) «التبيان في آداب حملة القرآن» ص[٣٠].

(٣) «تاج العروس» (٢/ ١٠٠).